

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فيقول الله -تبارك وتعالى- في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: **(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (284)**

مناسبة الآية لما قبلها: لما ضمن الله تعالى هذه السورة أكثر علم الأصول والفروع من: دلائل التوحيد، والتبوة، والمعاد، والصلاة، والزكاة، والقصاص، والصوم، والحج، والجهاد، والحیض، والطلاق، والعدَّة، والخلع، والإيلاء، والرِّضاع، والرِّيا، والبيع، وكيفية المداينة، ناسب تكليفه إيانا بهذه الشرائع أن يذكر أنه تعالى مالك لما في السموات وما في الأرض؛ فهو يلزم من شاء من مملوكاته بما شاء من تعبداته وتكليفاته، ولما كان محل اعتقاد هذه التكاليف هو الأنفس، وما تنطوي عليه من النيات، وثواب ملتزمها وعقاب تاركها إنما يظهر في الدار الآخرة- تبه على صفة العلم التي بها تقع المحاسبة في الدار الآخرة. الدرر السنية **(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ) أي: إن لله تعالى وحده ما في السموات والأرض وما بينهما، خلقاً ومُلْكاً وتدبيراً، وهو المطلع على من فيهما، لا يخفى عليه شيء مطلقاً، وسيطِّعهم على وجه المحاسبة على إظهار ما انطوت عليه نفوسهم، أو إضماره، مما استقرَّ فيها وثبت، من الكفر والتفاق، أو من الأوصاف السيئة التي تتصف بها، أو من العزائم المصممة على ارتكاب معصية. موسوعة التفسير**

عن أبي هريرة **ع**، قال: **لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ **ع** (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ...)** اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ **ع**، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ **ع** ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، كُفِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ وَالْجِهَادَ وَالصِّيَامَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْنَا هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ع**: (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؛ بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فَلَمَّا افْتَرَّهَا الْقَوْمُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِثْرِهَا: (أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قَالَ: نَعَمْ (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) قَالَ: نَعَمْ (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ) قَالَ: نَعَمْ (وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) قال: نَعَمْ) رواه مسلم .

وعن ابن عباسٍ قال **لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ) قَالَ دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَ النَّبِيُّ **ع** « قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا » قَالَ فَأَلْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ**

نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) قَالَ قَدْ فَعَلْتُ (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) قَالَ قَدْ فَعَلْتُ
(وَاعْمُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا) قَالَ قَدْ فَعَلْتُ). رواه مسلم

(لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أي: كل ما في السماوات والأرض له سبحانه وتعالى خلقاً وملكاً
وتدبيراً.

قال أبو بكر الجزائري: خلقاً وملكاً وتصرفاً.

وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدل على هذا العموم: قال تعالى (وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (109) ال عمران. وقال تعالى (وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ
شَيْءٍ مُحِيطًا) (126) النساء. وقال تعالى (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (4) الشورى.
وفي هذه الآية يستدل الله بربوبيته سبحانه على إستحقاقه للتفرد بالألوهية: فإذا كان الخلق خلقه والعباد عبده
والملك ملكه، فالجميع عبيد له نواصيهم بيده، مربون مدبرون فقراء له، فكيف يُعبد مملوك - كائناً من كان -
ويترك الخالق المالك الرازق، أو يُشرك مملوك في الحكم مع المالك، وهو لا يملك مثقال ذرة ولا أدنى من ذلك، ولا
يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا يملك موتاً ولا حيوةً ولا نُشوراً، فكيف غيره، فأصبح الانقياد والامتثال والاستسلام
لله أمراً حتماً لازماً على من علم الخالق الرازق الملك المدبر.

✉ قال سليمان اللهيبيد ما هي الفائدة من إيماننا بأن الله ملك السماوات والأرض:

أولاً: الرضا بقضاء الله، وأن الله لو قضى عليك مرضاً فلا تعترض، ولو قضى عليك فقراً فلا تعترض، لأنك ملكه
يتصرف فيك كما يشاء... كما أخبر الله عن حال المؤمنين الراضيين عن ربه (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ).

ثانياً: الرضا بشرعه وقبوله والقيام به، لأنك ملكه.
ثالثاً: إن من علم أن الكون ملك لله وحده لا شريك، علم أن ما لدينا من مال ومتاع وجاه ليس ملكاً لنا بل
هو ملك لله، وإنما نحن مستخلفون فيه للابتلاء والاختبار، كما قال تعالى (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ
مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) (7) الحديد.

وقال ع (إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوهٌ حَضْرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ...) رواه مسلم.

(وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ) أي: وإن تظهروا الذي في صدوركم وقلوبكم من المعتقدات والمضمرات والسرائر.
(أَوْ تُخْفُوهُ) أي: أو تسروه وتضمروه. (يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ) أي: يُطَّلِعُ عَلَيْكُمْ عَلَيْهِ، وَيُخَبِّرُكُمْ بِهِ وَيُظْهِرُهُ لَكُمْ، لِأَنَّهُ عَزِيزٌ
وَجَلِيلٌ لَا تُخْفِي عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، فَالسر والعلانية عنده سواء.

قال تعالى (سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) (10) الرعد.
وقال تعالى (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) (38)
ابراهيم وقال تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) (19) النحل. وقال تعالى (وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ

وَأَخْفَى (7) طه. وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (38) فاطر.

وقوله تعالى: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) الطارق (9) قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "بيدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زيناً في الوجوه، وشيناً فيها، والمعنى: تختبر السرائر بإظهارها، وإظهار مقتضياتها من الثواب والعقاب، والحمد والذم.

(وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ) لذلك هذه الآية أبكت الصحابة رضي الله عنهم، هذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حينما سمع هذه الآية قال: لئن آخذنا الله على ما أخفينا في نفوسنا لنهلكن. وبكى حتى سُمع نشيجه بالبكاء. وبلغ ذلك الأمر ابن عباس فقال: يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد وجد إخوانه المسلمون مثلما وجد من هذه الآية.

فأنزل الله بعدها {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} إلى آخر السورة

✉ ويجب العلم أن هناك خمس حالات لنوازع النفس فهناك (هاجس) و (خاطر) و (حديث نفس)، و (هم) وهناك (عزم)، والأربع الأولى من هذه الحالات ليس عليها حساب، إنما يحاسب العبد على الأخيرة العزم. إن الهاجس هو الخطرة التي تخطر دفعة واحدة، أما الخاطر فهو يخطر... أي يسير في النفس قليلاً، وأما حديث النفس فإن النفس تظل تتردد فيه، وأما الهم فهو استجماع الوسائل التي ينفذ بها الإنسان رغباته، أما العزم (القصد) فهو الوصول إلى النهاية والبدء في تنفيذ الأمر.

☐ والقصد العزم هو الذي يُعني به قوله تعالى: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ)

✉ والدليل من القرآن أن الله يحاسب العبد على العزم في قلبه، وإن لم يخرج إلى حيز التنفيذ في سورة القلم قال تعالى ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنْ اعْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَاَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ * وَوَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [سورة القلم : 19-29]

✉ نحن أمام قصة أصحاب الجنة، اليانعة المثمرة، وأصحابها يُبيتون بليل بهم أمر عقيم بشأن جنتهم، فعدوا العزم على حرمان الفقراء الذين كان لهم حظ من تلك الجنان، الأناجية وحُب الذات خيم على عقولهم، فجعلهم الله مثلاً للأولين والآخرين، بيتوا نية السوء، نية حرمان الفقراء، فكان التدخل الإلهي قبل إشراقه الشمس، جاءها الطائف الرباني، وأعد الله لهم من سوء المشهد ما يناظر سوء النية التي بيتوها في صدورهم، «فأصبحت كالصريم» وهم في نومهم يغطون، قبل أن ينفذوا ما أنعدوا في قلوبهم.

✉ لذلك كثير من العلماء وقفوا عند هذه (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ) وتساءلوا هل الآية التي جاءت بعد ذلك والتي يقول فيها الله: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} هل هي نسخ للآية السابقة عليها؟ الجواب أن هذه الآية خبر، والأخبار لا تنسخ إنما الأحكام هي التي يتم نسخها، وعلى ذلك يكون القصد والعزم على تنفيذ الأمر هو المقصود بقوله تعالى: (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ) فهذا هو

الذي يحاسبنا الله عليه.

وهذا الذي رجّحه الإمام الطبري أنّ الآية محكمة غير منسوخة. وهذا هو الصواب ، وإنما هي مخصّصة ، وذلك أنّ قوله تعالى (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ) معناه : بما هو في وُسْعِكُمْ ، وتحت كَسْبِكُمْ ، وذلك استصحابُ المعتقد ، والفكر فيه ، فلما كان اللفظ ممّا يمكن أن تدخل فيه الخواطر ، أشفق الصحابةُ ، والنبيُّ ﷺ فبيّن الله تعالى لهم ما أراد بالآية الأولى ، وخصّصها ، ونصّ على حُكْمِها ؛ أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها ، والخواطر ليست هي ، ولا دفعها في الوسع ، بل هي أمر غالبٌ ، وليست مما يُكسبُ ، ولا يُكتسبُ ، وكان في هذا البيان فرحهم ، وكشفُ كربهم ، وتأتي الآية محكمة لا نسخ فيها .

الله سبحانه وتعالى يحاسبنا على ما تم تسجيله علينا، فكل إنسان يقرأ ما خطه بنفسه كما قال سبحانه: (وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا)... [الإسراء: 13-14].

☐ والحساب معناه أن للإنسان بنك يودع فيه أعماله، رصيد للحسنات ورصيد للسيئات، والله يحاسبه بميزان العدل والقسط: { وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ } ... [الأعراف: 8-9].

☐ فمن ثقلت كفة حسناتهم فأولئك هم الفالحون الفائزون، والذين باعوا أنفسهم للشيطان والدنيا وهوى النفس تتنقل كفة سيئاتهم فيكونوا هم الخاسرون.

✻ حساب الحسنات له مصدرين: ما فعلناه من الصالحات، والثاني ما أصابنا بسوء من العباد نأخذ من حسناته لتضاف لرصيدنا. ✻ وكذلك السيئات له مصدرين: ما فعلناه من السيئات، والثاني من أصابنا بسوء ولا يوجد حسنات نعطيها، يلقي علينا من سيئاته.

☐ الحساب يوم القيامة نوعان: ① النوع الأول: حساب عرض، وهذا يخص المؤمن، يُسأل عن عمله وعلمه ونعمة الله التي منّ بها عليه، فيجيب بما يشرح صدره ويثبت حجته ويدعمه بنعمة الله عليه، وإذا عرضت عليه ذنوبه أقر بما فيسترها الله عليه ويتجاوز عنه. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَنْعِرْ ذَنْبَ كَذَا أَنْعِرْ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ). متفق عليه

عن عائشة قالت: " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْحِسَابِ الْيَسِيرِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ فَقَالَ: (الرَّجُلُ تُعْرَضُ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ ثُمَّ يُتَجَاوَرُ لَهُ عَنْهَا إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ). صححه الألباني

② النوع الثاني: حساب مناقشة، وهذا حساب الله للكفار، ومن شاء من عصاة الموحدين، وقد يطول حسابهم ويعسر بحسب كثرة ذنوبهم وهؤلاء العصاة من الموحدين يدخل الله منهم النار من شاء إلى أمد، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة إلى أبد.

عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ) قَالَتْ قُلْتُ أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:

(فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا)؟ قَالَ (ذَلِكَ الْعَرْضُ). متفق عليه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: (هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظُّهَيْرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ)؟ قَالُوا لَا قَالَ: (فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ)؟ قَالُوا لَا قَالَ: (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا)، قَالَ (فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسَوَّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَجَّرَ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَاسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ: لَا فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي فَيَقُولُ أَيُّ فُلٍ أَلَمْ أُكْرِمَكَ وَأَسَوَّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأَسَجَّرَ لَكَ الْحَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَاسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيُّ رَبِّ فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِي؟ فَيَقُولُ لَا فَيَقُولُ فَإِنِّي أَنَسَاكَ كَمَا نَسَيْتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرَسُولِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَبِئَنِّي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ هَاهُنَا إِذَا قَالَ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَيْهِ وَيُقَالُ لِقَاحِدِهِ وَحَمِيهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذْهُ وَحَمِيَّهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ وَذَلِكَ لِيُعَذِّرَ مَنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمَنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْحَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ). رواه مسلم

(فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي: فيغفر بعد المحاسبة، لمن أتى بأسباب المغفرة فضلاً منه، ويُعاقب من يكفر به، أو يُصِرَّ على المعاصي، في باطنه أو ظاهره عدلاً منه، فالله تعالى لا يُعجزه شيء، ومن تمام قدرته محاسبة الخلائق، وإيصال ما يستحقونه من الثواب والعقاب.

موسوعة التفسير

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يُجَاوِزُ لِأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ) رواه مسلم

(فَيَغْفِرُ) برحمته. **(لِمَنْ يَشَاءُ)** من العصاة. **(وَيُعَذِّبُ)** بعدله. **(مَنْ يَشَاءُ)** من عباده.

✉ يعني أنه ليس لأحد عليه حق يوجب عليه أن يغفر له، وليس لأحد عليه حق يمنعه من أن يعذبه، بل الملك له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن الله عذب أهل سماواته، وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم). صحيح أبي داود

☞ قال الشيخ ابن عثيمين: ولنعلم أن كل شيء علّقه الله بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة، أي: أنه ليست مشيئة الله مشيئة مجردة هكذا تأتي عفواً، لا، بل هي مشيئة مقرونة بالحكمة، **والدليل على ذلك قوله تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا)** فلما بين أن مشيئتهم بمشيئة الله بين أن ذلك مبني على علم وحكمة.

وقوله تعالى: **(فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ)** هناك مواضع وآيات بين الله فيها من هم الذين يمن الله عليهم بالمغفرة؟؟؟ هم

الذين تابوا وأنابوا إلى الله وعملوا صالحاً قال تعالى: **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ**

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) ... [الفرقان: 70].

✉ مغفرة الذنوب وتبديلها إلى حسنات، أكبر دليل على سعة رحمة الله، ومعاملته عباده بفضله وكرمه لا بعدله، وأن رحمته سبحانه سبقت عذابه، فعندما يرى الله ألم العبد من السيئة التي ارتكبها وحرزته الشديد وندمه، فإن الله

يمحوها ويكتبها له حسنة.

✉ وبهذا نفهم ما قال العارفين: رُبَّ معصية أورثت ذلاً وانكساراً خيراً من طاعة أورثت عزا واستكباراً.

يقول ابن القيم رحمه الله فإذا أراد الله بعبده خيراً فتح له من أبواب:

① (التوبة) والندم ② والانكسار والذل والافتقار ③ والاستعانة به وصدق اللجأ إليه ④ ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه.

☞ فلا يزال نادماً على هذا الذي وقع منه، خاشعاً خاضعاً منيباً، مكثراً من الحسنات التي يريد أن تكون سبباً في تبديل سيئاته حسنات، (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ (114) هود) حتى يقول عدو الله: يا ليتني تركته ولم أوقعه.

(وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فلا يعجزه شيء سبحانه، كما قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (44) فاطر.

☞ ومن قدرته أنه سبحانه: يعز من يشاء ويذل من يشاء ويؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء، وينسخ من الأحكام ما يشاء ويبقي ما يشاء، كما قال تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) ال عمران.

☞ وناسب ختم الآية بقوله تعالى (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) لأن محاسبته للعباد على ما يبدون وما يخفون، ومغفرته لمن يشاء وتعذيبه لمن يشاء منهم، إنما يحصل ذلك يوم البعث والمعاد، الذي هو من أعظم الدلائل على كمال قدرته عز وجل.

✉ قال سعيد مصطفى: اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، لَا مُعْتَبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره؛ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. سورة الأعراف: الآية/ 54

✉ يَعْلَمُ خَلْجَاتِ النَّفُوسِ، وَمَكْنُونَاتِ الضَّمَائِرِ؛ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾. سورة غافر: الآية/

19

✉ يحاسب على كل خاطرة تجول في النفس، ويؤاخذ بكل بارحة وساجحة، ويعاقب على كل شاردة وواردة هذا مُقْتَضَىٰ عَدْلِهِ، وتلك إرادته؛ ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوا بِمَا نَسَبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.

✉ وَمَنْ الَّذِي يَسْأَلُ مِنَ الْهَوَاجِسِ، وَمَنْ الَّذِي يَأْمَنُ مِنَ الْخَوَاطِرِ؟ وَمَنْ الَّذِي لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ؟ وَمَنْ الَّذِي يَنْجُو بَعْدَ هَذَا؟ بَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ، وَاسْتَوَىٰ الْيَأْسُ عَلَى الضَّمَائِرِ، وَلَا تَرَىٰ إِلَّا مَذْهُولًا وَخَائِرًا، هَلَكَ النَّاسُ إِنْ لَمْ تَتَذَكَّرْهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ، وَأَرْأَفُ بِهِمْ مِنَ الْأُمِّ الرَّؤُومِ.

✉ فَأَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ، وانكشف ما بالناس من كُربٍ، وتدارك عبادة برحمته، وأفاض عليهم من بركته، فغفر لهم تفضلاً، وتجاوز عنهم تکرماً؛ ليعلموا عظيم فضله، ويروا جليل إحسانه.

اللهم لك الحمد على نعمك الجليلة، وآلائك العظيمة، وعلى حلمك بعد علمك، لا ملجأ من الله إلا إليه

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

فضل خواتيم سورة البقرة: جاءت الأحاديث بفضل هاتين الآيتين:

① عن أبي مسعود البدري ر ، عن النبي ع قَالَ (مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةِ كَفْتَاهُ) متفقٌ عَلَيْهِ

وقال النووي: قيل معناه كفتاه من قيام الليل، وقيل من الشيطان وقيل من الآفات ويحتمل من الجميع.

وقال ابن القيم: الصحيح: أن معناها كفتاه من شر ما يؤذيه، وقيل: كفتاه من قيام الليل، وليس بشيء.

② وعن ابن عباس رضي الله عنهما (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ ص قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ع سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُحِ الْيَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلَّا أُعْطِيْتَهُ) . رواه مسلم

③ وعن عبد الله بن مسعود ر قَالَ (لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ع انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا قَالَ (إِذْ يَعْشَى السِّدْرَةَ مَا يَعْشَى) [النجم: 16] قَالَ فَرَأَتْ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ فَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ع ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُفْحِمَاتِ) رواه مسلم .

(الْمُفْحِمَاتُ) الكبائر من الذنوب التي تقحم صاحبها في النار أي تلقيه فيها، فإنه يجاسب عليها، ولكن لا يخلد

بها في النار

④ قال رسول الله ع (اقرأوا هاتين الآيتين اللتين في آخر سورة البقرة فإن ربِّي أعطانيهما من تحت العرش) صحيح

الجامع

قال رسول الله ع (أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي) صحيح

الجامع

⑤ وعن النعمان بن بشير عن النبي ع قَالَ (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْقَلَمِ عَامًا، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ ، حَتَمَ بِمَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، لَا يَقْرَأُ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرُهَا شَيْطَانٌ) صحيح الترغيب .